

معطيات أثرية حول محاجر منطقة تهودة -تحري ميداني لجبل كميرو ضمن سلسلة جبال الأوراس-

Archaeological Data on the Quarries of the Tahouda Region -A Field Investigation of Mount Kmarou in the Aurès Mountain Range-

ط.د. / ربحان فتحي¹

مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط-الجزائر LECMMA

معهد الآثار، جامعة الجزائر 2

البريد الإلكتروني: fethi.rihane@univ-alger2.dz

تاريخ النشر 2025/12/31

تاريخ القبول 2020/12/27

تاريخ الإستلام 2025/12/27

الملخص:

تعد المحاجر القديمة في الجزائر شاهداً على الديناميكية الاقتصادية والعمرانية لهذه المناطق في الفترة الرومانية، كانت هذه المحاجر المتوزعة بكثافة في السلاسل الجبلية ذات التكوينات الجيولوجية المختلفة، تلعب دوراً محورياً في توفير المواد الخام الأساسية للبناء وتغذي شبكة عمرانية واسعة تمتد من الساحل المتوسطي إلى حدود الصحراء.

دراسة هذه المحاجر توفر نافذة فريدة على العلاقات الاقتصادية بين الأقاليم، وآليات توزيع الموارد، بالإضافة إلى التنظيم الإداري للإنتاج على نطاق إمبراطوري ومحلي، كما يعكس التوزيع المكاني لهذه المحاجر ارتباطاً وثيقاً بالمراكز الحضرية الرئيسية، حيث كانت المسافة والإمكانات اللوجستية تحدد كفاءة النقل والتموين، إذ يكشف التحري الأثري عن آثار عمليات استخراج منظّمة، وتخطيط متقن، مع وجود بنى تحتية متخصصة لتأدية الغرض. في إطار مشروع البحث حول خط الليمس في الفترة القديمة، قمنا بعملية تحري ميداني بالمناطق المجاورة لمدينة تهودة الأثرية، تمكنا خلالها من الكشف عن بعض المعطيات الأولية حول المحاجر المنتشرة بجبل كميرو (380م)، المتواجد ضمن سلسلة جبال الأوراس المطلة على سهول منطقة الزيبان.

الكلمات المفتاحية: تهودة، محاجر، الفترة القديمة، نظام الليمس، جبل كميرو.

Abstract:

Ancient quarries in Algeria bear witness to the economic and urban dynamism of these regions during the Roman period. Widely distributed across mountain ranges with diverse geological formations, these quarries played a pivotal role in supplying essential raw materials for construction and sustained an extensive urban network extending from the Mediterranean

¹-مرسل المقال.

coast to the desert frontier. The study of these quarries provides a unique window into inter-regional economic relations, resource distribution mechanisms, and the administrative organization of production at both imperial and local scales. The spatial distribution of these quarries reflects a close relationship with major urban centers, where distance and logistical capabilities determined transport efficiency and supply provision. Archaeological investigation reveals traces of organized extraction operations, refined planning, and the presence of specialized infrastructure designed to serve these purposes.

Within the framework of a research project on the Roman limes during the Roman period, we conducted a field survey in areas adjacent to the ancient city of Tahouda. During this investigation, we were able to uncover preliminary data regarding quarries distributed across Mount Kmarou (380m), located within the Aurès mountain range overlooking the plains of the Ziban region.

Keywords: Tahouda, quarries, ancient period, limes system, Mount Kmarou.

مقدمة:

"الحجارة، ضرورة لحياتنا، لن تُستخرج من الأرض دون العمل ويد الإنسان"²، بهذه الكلمات عبر الكاتب شيشرون عن أهمية الحجارة في حياة المواطن الروماني، الذي حرص على اتباع استراتيجية حضارية واضحة تقوم على نشر نمط عيش وأسلوب معماري في جميع المقاطعات التي خضعت للسيطرة الإمبراطورية، كان الهدف من ذلك تحقيق نوع من التوحيد الثقافي والعمراني، بحيث تصبح كل مدينة في الأطراف انعكاساً مصغراً لعاصمة الإمبراطورية روما نفسها، لكن هذا التوجه يتطلب توفير كميات هائلة من مواد البناء بأنواعها المختلفة، بهذا المعنى، أصبحت الأحجار المستخرجة من المحاجر الأداة الأساسية التي تعكس الهوية المعمارية الرومانية.

ارتبط التوسع الجغرافي للإمبراطورية بحركة بناء متسارعة وديناميكية على مستوى المقاطعات، فكلما اتسعت حدود الإمبراطورية، كلما زادت الحاجة إلى كميات متزايدة من مواد البناء، أدت هذه الديناميكية إلى ربط مباشر بين خريطة التوسع الإمبراطوري وتوزيع المحاجر، حيث أصبح كل توسع جديد يستدعي كشفاً منهجياً عن موارد البناء المتاحة.

اقتصرت معظم الأبحاث حول المحاجر على جوانب جزئية ومحدودة، فقد انصب تركيز الباحثين على الدراسات في الجوانب التقنية البحتة، أي طرق القلع وأدوات الاستخراج وآليات النقل والتوزيع، أدى هذا الفهم المجزأ للمحاجر إلى فجوة معرفية كبيرة في فهمنا للحياة الاقتصادية والاجتماعية في المحاجر التي

لم تكن مجرد مواقع إنتاج معزولة، بل كانت جزءاً لا يتجزأ من شبكة معقدة من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي تربط بين المناطق القريبة والبعيدة، كانت تؤثر على أسعار السلع، وتحدد أماكن الاستيطان، وتشكل العلاقات بين المالكين والعمال، وتحدد أنماط الهجرة والتبادل التجاري.

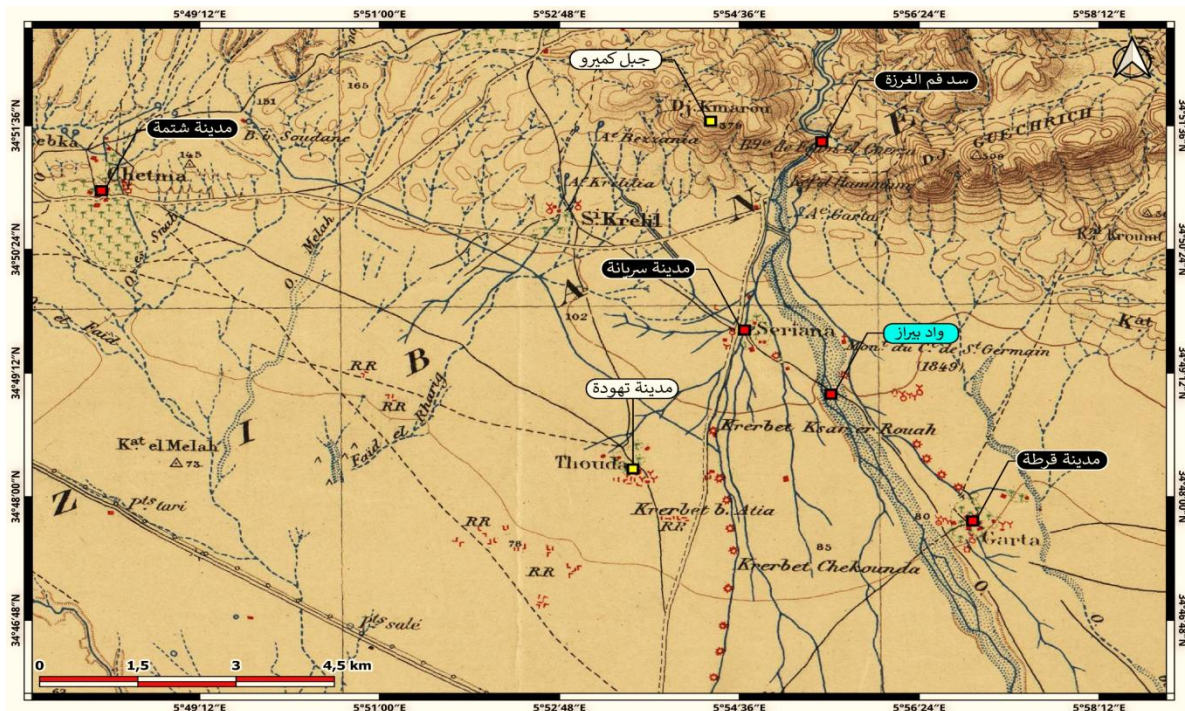
يمكن تصنيف المحاجر الرومانية بناءً على عدة معايير منها:

- حسب طبيعة المواد المستخرجة (محاجر الرخام، ومحاجر الحجر الكلسي).
- حسب طريقة القلع (محاجر سطحية، ومحاجر الأنفاق).
- حسب الوصاية القانونية (محاجر إمبراطورية، ومحاجر المدن، والورشات الخاصة).
- حسب مرحلة الاستغلال (محاجر نشطة، ومحاجر مستنزفة، ومحاجر مهجورة).

1- الموقع الجغرافي والطبيعي لجبل كميرو:

يتواجد في نهاية سلسلة جبال الأوراس، بارتفاع يقارب 380م عن مستوى سطح البحر، يتبع إدارياً إلى دائرتين (دائرة مشونش ودائرة سيدي عقبة)، وثلاث بلديات (سيدي عقبة، وشمته، ومشونش)³، يطل على المنطقة المنخفضة.

من سهول سيدي عقبة من الجنوب وسهل الوطاية من الشرق، وبمحاذاة السد المائي فم الخرزة، يبعد عن مدينة تهودة بمسافة تقدر بحوالي 6.5 كلم⁴ (الخريطة 01).



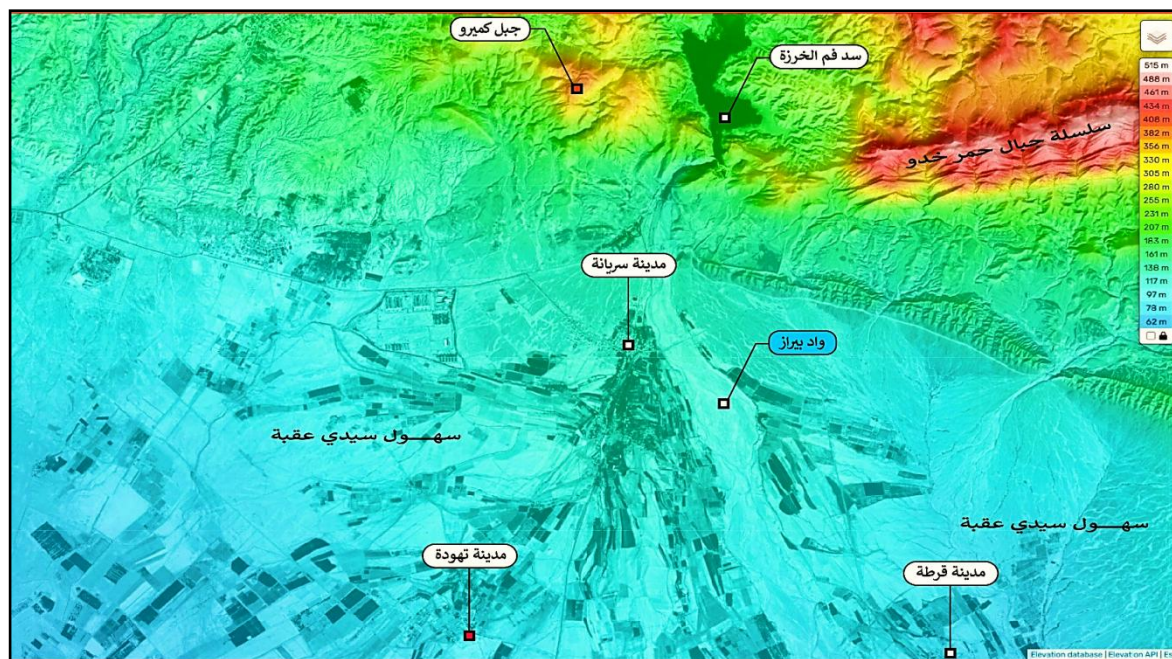
الخريطة 01: موقع جبل كميرو في محيطه العمراني والطبيعي. عن:

<https://1886.u-bordeaux-montaigne.fr/s/1886/recherche?q=biskra>

3- <https://mapcarta.com/17328886/Map>

4- قياس المسافة باستخدام برنامج QGIS المتخصص في نظم المعلومات الجغرافية.

تمثل المنطقة الحدود الجنوبية الغربية لسلسلة جبال الاوراس، ويقع جبل كميرو ضمن نطاق هذه السلسلة، يشرف على السهول المنخفضة لمنطقة سيدي عقبة، الواقعة جنوب-شرق عاصمة الولاية بسكرة، تنخفض هذه السهول بشكل تدريجي بداية من نقاط التماس مع السلاسل الجبلية في الشمال بارتفاع حوالي 100م، على ان تصل إلى ما دون 30م تحت مستوى سطح البحر على مستوى شط ملغين⁵ (الصورة الجوية 01).



3- الجيولوجيا والتكوينات الصخرية:

تتكون سلسلة جبل أحمر خدو من تكوينات جيولوجية قديمة من العصر الكريتياسي والعصور اللاحقة، تُشكل هذه الكتلة الصخرية كتلة رسوبية انكسارية، أي أنها تشكلت من خلال ترسب المواد والحجارة ثم انكسرت وتشوهت بفعل الفوالق والضغط التكتونية⁶، تُعطي الطبيعة الصخرية للجبل لوناً مائلاً إلى الحمرة⁷، وهي خاصية طبيعية نتجت عن أكسدة المعادن الموجودة في الصخور **(الخريطة 02)**.

1.3- الخصائص الصخرية الرئيسية:

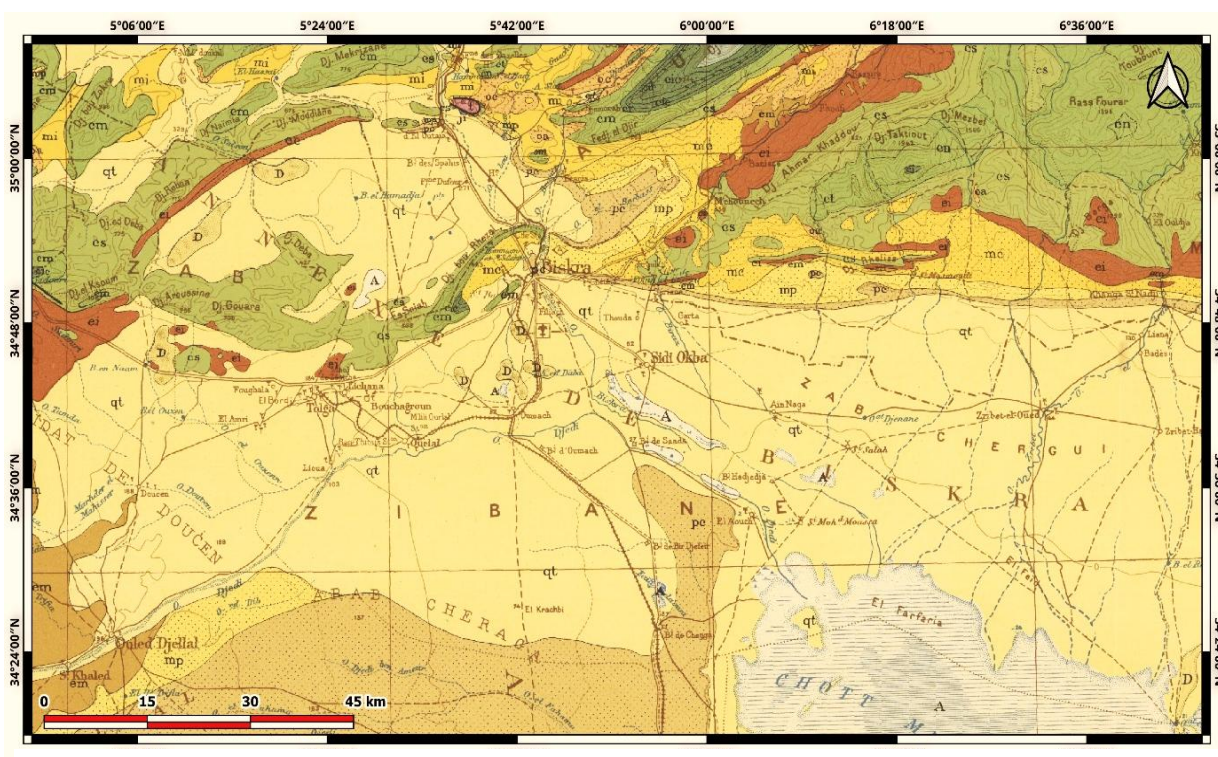
- الحجر الجيري والمارل: يشكلان الجزء الأساسي من تكوينات الجبل.
- الحجر الرملي: متواجد في طبقات معينة.
- الطين والدوميت: متواجدان في الطبقات السفلى والوسطى.

5- بوخليفة قويدر، جهينة، 2022م، ص ص. 1468-1469.

HELAL, F., 2016, p. 23. -6

7- بن زروال، جمعة، 2019م، ص. 685.

- تتميز جيولوجية سهول سيدي عقبة بكونها ترسبات حديثة من العصر الرباعي⁹، تتكون بشكل أساسي من الرمال والحصى والطين والمواد الرسوبية الأخرى، يمثل هذا الجزء من السهول سهول وديان حديثة تم تشكيلها بفعل عمل الأودية الموسمية التي تجرف المواد من الجبال المحيطة، تتميز التكوينات السطحية بأنها رواسب غرينيه تتكون من الرمال الناعمة والطين والحصى¹⁰، كما توجد مناطق من الملح الطبيعي والترسبات المعدنية نتيجة للتبخر.

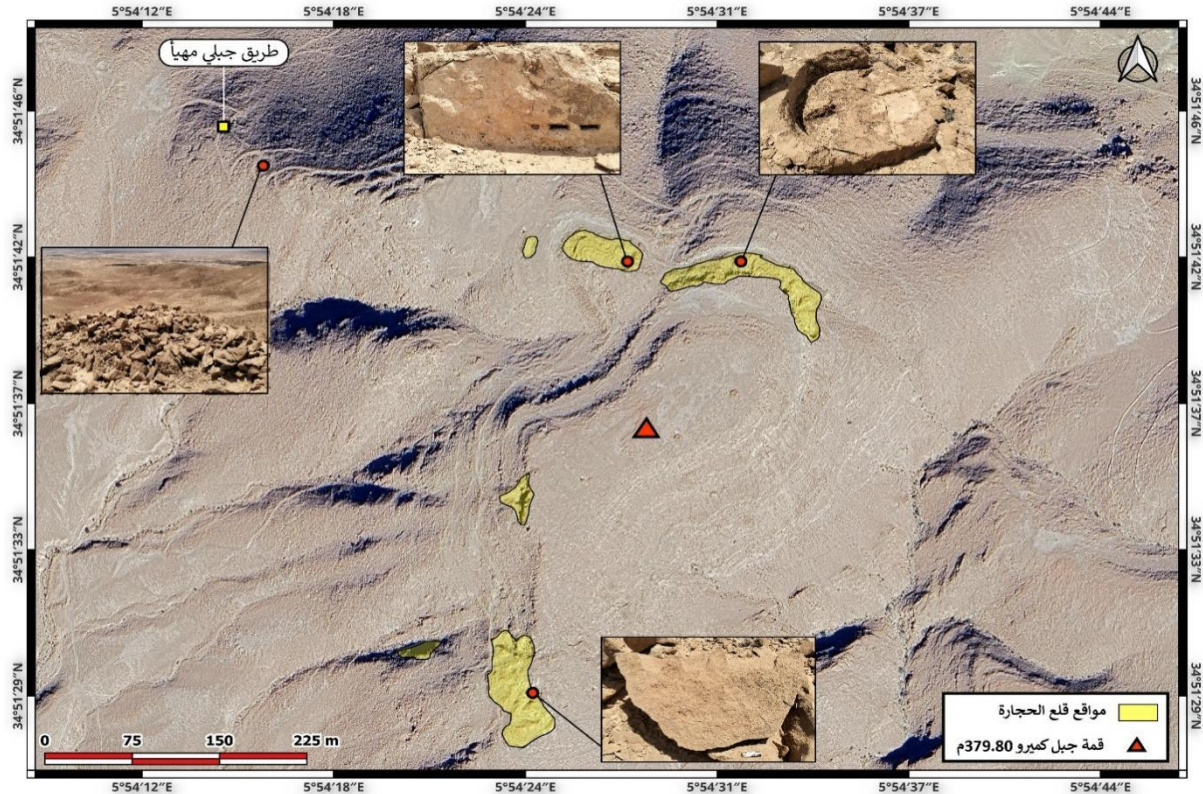


4- التحري الميداني لقمة جبل كميرو:

جرت عملية التحري الميداني بتنسيق بين طلبة معهد الآثار، حيث نُفِّذت خلال برنامج التربص الميداني المقام في الفترة من 01 إلى 05 ماي 2024م، كما تندرج هذه الأنشطة ضمن مشروع بحث أوسع يتناول دراسة خط الليمس في الفترة القديمة، والذي يشمل في نطاقه الجغرافي مدينة تهودة الأثرية ومحيطها، مكنت هذه العملية من إجراء مسح أولي شامل لقمة جبل كميرو، غطّت مساحة تجاوزت 20 هكتاراً، وأسفرت عن نتائج أولية قيّمة توفر أساساً متيناً لمراحل بحثية لاحقة أكثر شمولية.

ATHMANI, H.; alii., 2018, p. 483. -10

أسفرت عملية التحري الميداني عن اكتشاف عدة نقاط صغيرة ومواقع استخراج مخصصة لقلع الأحجار لأغراض البناء والزخرفة¹¹، يعكس تركيز البقايا المعمارية المكتشفة في هذه المواقع على العناصر الزخرفية طبيعة جيولوجية محددة للموارد الحجرية المتاحة، إذ تتمثل المادة الأساسية المستخرجة في الحجر الرملي، الذي يتميز بخصائص متوسطة من حيث الصلابة والمتانة، مما يحد من استخدامه في الأعمال الإنشائية الضخمة، ولكن هذا النقص في الصلابة أدى إلى الاعتماد عليه في الاستخدام الزخرفي، بسبب قابليته للتشكيل والنحت (الصورة الجوية 02).



الصورة الجوية 02: نقاط قلع الحجاره والعناصر المعمارية المكتشفة.

غالبية العناصر المعمارية المكتشفة هي عناصر زخرفية، تم التخلي عنها بسبب خطأ خلال عملية النحت أو بسبب وجود خلل طبيعي في الحجاره ذاتها، تتواجد بالقرب من القمة وفي أماكن مختلفة، لكن المميز أنها تحمل نفس الشكل الزخرفي، عبارة من نتوءات بارزة على شكل أمواج (الصورة 01، و02).

11- تم التحري بالمنطقة في السنوات السابقة، للمزيد من التفصيل يراجع: حاجي، ياسين رابع، 2014م، ص ص. 49-54.

تم العثور في الجهة الشمالية على آثار قلع لحجارة على شكل قرص (الصورة 03)، وفي نفس المكان في الطبقة السفلى، وجود عملية تهيئة لقلع حجارة على شكل مستطيل، أما في الجهة الشمالية الشرقية من قمة الجبل تم العثور على جذع عمود غير مكتمل التهيئة بطول حوالي 2م (الصورة 04).



الصورة 02



الصورة 01



الصورة 04



الصورة 03

الصورة 01، و02، و03، و04: العناصر المعمارية المكتشفة بمحاجر جبل الكميرو. عن: ريحان، فتحي، ماي 2025م.

مكنت العملية من توثيق كم من المعطيات حول والتقنيات المستخدمة في عملية القلع، المتمثلة في استعمال ثقب متتالية الواجهات العمودية للصخر، أو تقنية الخط على شكل ساقية وجدت في الواجهة السطحية للصخر، كما تم ملاحظة في العديد من النقاط آثار المعول المستخدم في عملية القلع والصقل خاصة (الصورة 05، و06).



صورة 06



صورة 05

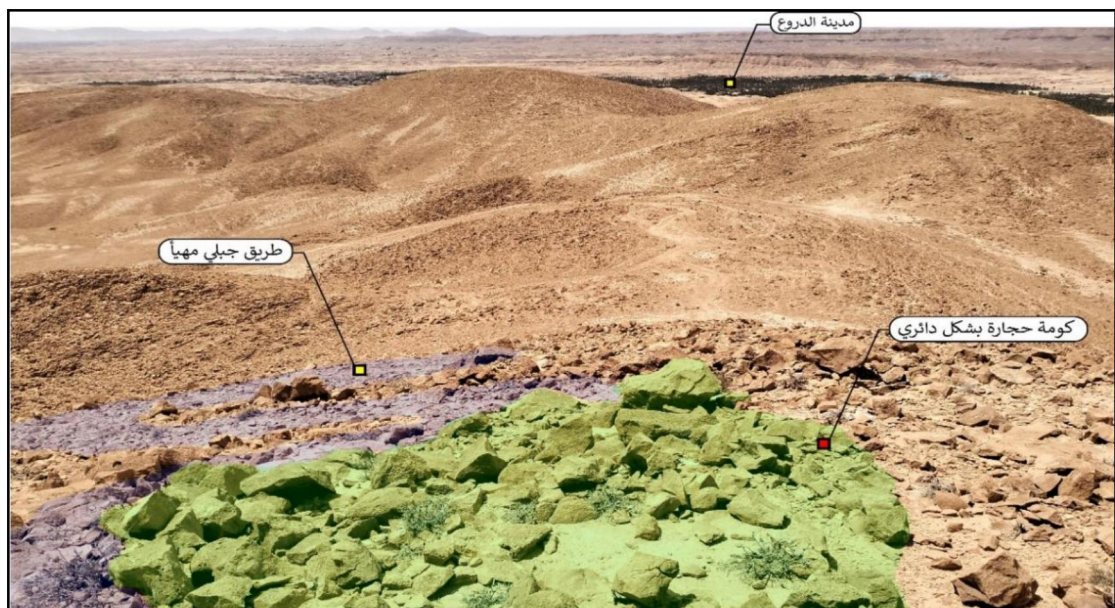
الصورة 05، و06: تقنيات قلع الحجارة. عن: ريحان، فتحي، ماي 2025م.

مقالع الحجارة ذات عدد معتبر ومقاسات صغيرة، طولها لا يتعدى 30م في أقصى الحالات، وتتواجد معظمها في الواجهات العمودية للقمة الجبلية، ترتبط هذه المقالع بطريق جبلي مهياً بطريقة يدوية، يمتد من أعلى القمة إلى أسفلها (الصورة 07)،



الصورة 07: الطريق الجبلي المهياً. عن: ربحان، فطحى، ماي 2025م.

تم العثور على مستوى القمة الجبلية وأطراف الطريق الجبلي على أكوام من الحجارة ذات شكل دائري، شبيه بالتيميلوس، ما يدعم الفرضية هو أن هذا النوع من القبور الميغاليثية يتواجد أساساً على مستوى المناطق المرتفعة والمشرقة على المدن القديمة (الصورة 08).



الصورة 08: التيميلوس دائرية الشكل بمحاذاة الطريق المهياً لنقل الحجارة المنحوتة. عن: ربحان، فطحى، ماي 2025م.

5- التحليل والتساؤلات الأثرية:

الموقع الجغرافي لمحاجر جبل كميرو على بعد 6.5 كم فقط من مدينة تهودة الأثرية، مما يجعله الموقع الأقرب للمدينة مقارنة مع المواقع التاريخية الأخرى المعروفة حالياً، غير أن هذا القرب الجغرافي لا يوفّر إجابات واضحة عن أسئلة جوهرية تتعلق بطبيعة هذه المحاجر وتاريخ استغلالها، وهنا يبرز السؤال الأول حول الزمن الذي شهد إنشاء هذه المحاجر والأغراض الأصلية من استخدامها، ثم يأتي السؤال الثاني المرتبط بالبعد الإداري والقانوني حول ما هي الرتبة الإدارية لهذه المقالع، وإلى أي إقليم إداري كانت تابعة؟ فمن المعروف أن كل مقلع حجارة في الفترة القديمة كان يحمل صبغة قانونية وينتمي إلى هيكل إداري محدد، سواء كان تحت السيطرة المباشرة للدولة أم مملوكاً لأفراد أو جماعات، تحت إشراف السلط الإدارية الحاكمة.

تشير الخصائص الملاحظات الميدانية إلى استخدام محدود ومتخصص ربما، فصغر أحجام مقالع الحجارة، وفي نقاط متفرقة عبر الموقع، و مع ذلك تحتوي على عناصر معمارية زخرفية متشابهة، كل ذلك يوحي بأن الاستخدام لم يكن عاماً أو شاملاً، بل محدوداً لغرض معين، هنا يفتح الباب أمام عدة فرضيات: قد يكون الموقع قد استُغل في فترات متأخرة نسبياً من العهد البيزنطي، ثم تم التخلي عنه نتيجة تحولات سياسية وأمنية مرتبطة بالفتوحات الإسلامية، أو قد يكون الاستغلال مرتبطاً بمشروع بناء محدد في فترة زمنية محددة، حيث جُلبت الأحجار لإنشاء معلم أثري معين، ثم توقف الاستخراج بعد انتهاء المشروع. يُدعم هذا الافتراض وجود عناصر زخرفية موحدة من حيث النمط والأسلوب، لكنها متناثرة في مواقع مختلفة من الموقع، مما يشير إلى أن الاستغلال كان محدوداً زمانياً ومكانياً.

وجود بنية تحتية محددة يعقّد هذه الفرضيات، إذ لوحظ على قمة الجبل ممر طريق مهياً ومخطط له بعناية، يبدو أنه كان مخصصاً لتسهيل نقل الأحجار من مواقع القلع، هذا العنصر يوحي بوجود استثمار وتخطيط منهجي لتسهيل عملية الاستغلال، وهو ما يناقض جزئياً فرضية الاستخدام المحدود، فوجود بنية تحتية يعكس عادة نية طويلة الأمد للاستغلال، ما لم تحل دون تحقيقها ظروف قاهرة أو تغيرات جذرية في السياق السياسي والاقتصادي.

هنا يبرز احتمال آخر قد يوفق بين التناقضات الظاهرة، قد يكون الموقع قد استُغل لغرض محدد جداً مرتبط بقدسية المكان وأهميته الدينية، بمعنى آخر، قد تكون الأحجار المستخرجة من هذا الموقع مخصصة حصراً لأغراض جنائزية، يدعم هذه الفرضية عدة مؤشرات أثرية، أولاً وجود عدد من المقابر على شكل التيميلوس على قمة الجبل وعلى جانبي الطريق الجبلي، مما يشير إلى أهمية دينية واجتماعية للموقع، ثانياً اكتشاف آثار قلع حجارة على شكل دائري، تشبه في تشكيلها الأحجار المستخدمة كمزالق لإغلاق الأضرحة والقبور الجنائزية، هل يعتبر تزامن هذه العناصر المعمارية الموحدة، آثار الحجر المزلاق، والمقابر على شكل تيميلوس كافياً للاستنتاج بأن الموقع استُغل بشكل محدود ومتخصص لبناء وتشيد مجموعة من القبور الجنائزية؟

يفتح هذا التساؤل الأخير باباً أمام أسئلة أعمق عن الهوية الاجتماعية والجغرافية للأفراد المدفونين في هذه المقابر، هل كانت هذه المقابر تضم أفراداً من النخبة الاجتماعية والعائلات النبيلة من المدن المجاورة، الذين اختاروا هذا الموقع المقدس لدفن موتاهم؟ أم أن الموقع كان مخصصاً لدفن العمال والفنيين المسؤولين عن إشراف واستغلال المحاجر؟

الإجابة على هذه التساؤلات المتشابكة تتطلب اتباع منهجية بحثية أوسع وأعمق، يجب إجراء عمليات مسح ميداني إضافية للموقع، مع دراسة العلاقات الموجودة بينه وبين التجمعات السكنية المحيطة، كما يتعين وضع محاجر جبل كميرو ضمن سياقها الجغرافي والتاريخي والعمراني الأوسع، بدلاً من دراستها في معزل ضيق، هذا النهج الشامل والمتكامل وحده القادر على توفير إجابات موثوقة ونتائج مرضية تسهم في فهم عميق لدور هذه المحاجر في اقتصاد ومجتمع المنطقة خلال الفترة الرومانية والبيزنطية.

قائمة البibliوغرافيا:

1. بن زروال، جمعة، 2019م، "المجتمع في منطقة غسيرة واحمر خدو من خلال قانون سيناتوس كونسيلت 1836م"، مجلة الإحياء، 19، 22، سبتمبر، ص ص. 683-706.
2. بوخليفة قويدر، جهينة، 2022م، "منطقة الزيبان، دراسة طبيعية جغرافية"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 06، 02، أكتوبر، ص ص. 1462-1484.
3. حاجي، ياسين رابح، 2014م، "المسح الأثري بموقع تهودة وضواحيه"، مجلة الدراسات الأثرية، 12، 01، ص ص. 33-54.
4. ATHMANI, H.; alii=ATHMANI, H.; BOULAHIDID, M.; BOUCHAHM, N.; HOCINI, N., 2018, «Géochimie des métaux traces dans les sédiments du barrage de la fontaine des gazelles, Algérie», in Courrier du Savoir – N°26, Mars, pp. 481-494.
5. Ciceron, De officiis, II, 13.
6. HELAL, F., 2016, Qualité, gestion intégrée et cartographie des ressources en eau de la wilaya de Biskra, mémoire de master, Université 8 Mai 1945 Guelma, juin.
7. <https://1886.u-bordeaux-montaigne.fr/s/1886/recherche?q=biskra>
8. <https://fr-fr.topographic-map.com/map-s6p818/Da%C3%AFra-Sidi-Okba/?base=5>
9. <https://mapcarta.com/17328886/Map>
10. <https://nla.gov.au/nla.obj-2664093697/view>